أش ٦٣: ١-٦

إنتصارُ الربّ على الشعوب

الأخت دولّي شعيا
مجازة في علم الكتاب المقدس

مقدّمـــة

يقع هذا النصّ في إطار كتاب أشعيا الثالث (٥٦-٦٦) الذي يرنو إلى إنتصار الربّ في سماءٍ جديدة وأرضٍ جديدة، ينعكس بشكلٍ ملموس في هيكلٍ وكهنوتٍ جديدَين[١]. يُعتبر أش ٦٣: ١ – ٦ نشيدًا رؤيويًّا من النشائد الأكثر أهميّة في سفر أشعيا كلّه. يدور هذا النشيد حول وصفٍ عنيف لانتصار الربّ على أدوم[٢]، وحوارٍ بين الربّ، الذي لُطِّخَت ثيابه بعصير العنب، وكاتب النصّ. إلى ما ترمز المعصرة؟ ومن هم الذين داسهم الربّ في المعصرة؟

١- تحديد النصّ

يبدأ النصّ في ٦٣: ١، الآية التي تتميّز بتغيير في الصيغة من المُخاطب المفرد المؤنّث في ٦٢: ١٢ (לֹא נֶעֱזָבָה، "غير المهجورة") إلى الغائب المفرد المُذكّر في ٦٣: ١ (בָּא، "الآتي"). ثمّ هناك تغيير في الموضوع: ففي نهاية الفصل ٦٢ يتكلّم الكاتب عن مدينة أورشليم التي لا تُدعى المدينة المهجورة، أمّا في بداية الفصل ٦٣ فهو يتكلّم عن شخصٍ يلبسُ ثيابًا حُمرًا. هناك أيضًا تغيير جغرافيّ من أورشليم (٦٢: ١٢) إلى أدوم (٦٣: ١).

ينتهي النصّ في ٦٣: ٦، الآية التي تتميّز أيضًا بتغيير في الصيغة من الغائب الجمع المذكّر (נִצְחָם - دمهم) إلى المتكلّم المفرد في الآية ٧ (אַזְכִּיר، "أذكر"). هناك تغييرٌ أيضًا في الموضوع من إبادة الأمم في الآية ٦ إلى الكاتب الذي يذكرُ رحمة الربّ وما صنعه مع شعبه في الآية ٧. يلاحظ القارئ أيضًا تغييرًا جغرافيًا حيث ينتهي الكلام عن الشعوب التي يُبيدها الربّ في الآية ٦، وفي الآية ٧ يسلّط الكاتب الضوء على بيت إسرائيل.

إذًا النصّ الذي نحن بصدد دراسته هو ٦٣: ١–٦، والذي يتكلّم عن انتصار الربّ على الشعوب.

٢- النوع الأدبي

يُشبه أش ٦٣: ١–٦ نصّ أش ٣٤ من ناحية المفردات والموضوع. وكلا النصّين يضعان الحكم على أدوم في الإطار الواسع لعلاقة الربّ مع الشعوب[٣]. أمّا في ما يخصّ أش ٦٣: ١–٦ مباشرةً، فالنشيد يُشبه العمل المسرحي. والمقطع الوحيد في العهد

(١) R. E. BROWN - J. A. FITZMYER - R. E. MURPHY (eds.), *The New Jerome Biblical Commentary* (London 2000) 346.

(٢) الاسم "أدوم" يعني "الأحمر". تقع أرض أدوم في جنوب البحر الميت. والأدوميّون هم من نسل عيسو، الأخ التوأم ليعقوب. انتهز هذا الشعب فرصة سقوط أورشليم سنة ٥٨٧ لنهب يهوذا، علماً أنّ الأدوميّين كانوا دائماً أعداءً لإسرائيل، رغم أنّ أدوم (عيسو) وإسرائيل (يعقوب) كلاهما من نسل إسحق (تك ٢٥: ٢٣).

(٣) يستعمل الكتاب التعابير نفسها التي استعملها كاتب أش ٣٤. مثلاً: "يوم انتقام" (أش ٣٤: ٨؛ ٦٣: ٤).

القديم الذي يُشبهه من ناحية الأسلوب هو يشوع ٥: ١٣-٦: ٥. فهناك في كلا النصّين سؤالان وجوابان.

أمّا النوع الأدبي للنشيد، فهو رؤيوي. أي أنّه من النصوص التي تتعلّق بالأمور النهيويّة، وبأمجاد العصر الآتي.

٣- تقسيم النصّ

١أ سؤال الكاتب الأوّل: "من هو الآتي من أدوم"؟

١ب جواب الربّ: هو يعرّف عن نفسه.

٢ سؤال الكاتب الثاني: "ما بالُ لباسك أحمر"؟

٣- ٦ جواب الرب: إنتصاره وحده على الشعوب.

٤- شرح النصّ

الآية الأولى: **"مَن ذا الآتي من أدوم بثيابٍ قرمزيّة من بُصرَة، هذا الذي يتباهى بلباسه ويختالُ بكثرةِ قوّته؟ أنا المتكلّم بالبرّ الكثيرُ الخلاص".**

تبدأ هذه الآية بالسؤال **מִי־זֶה בָּא**، "من ذا الآتي"؟ والجواب على هذا السؤال مُثلّث:

الجواب الأوّل: **מֵאֱדוֹם**، "من أدوم". في ذلك الوقت لم تكن أدوم أمّة، بل غزتها الشعوب العربيّة في الصحراء[٤]. أمّا المنطقة الجنوبيّة والشرقيّة ليهوذا فقد حافظت على هذا التسمية. و**בְּצָרָה**، "بُصرة"[٥] كانت المدينة الرئيسيّة لتلك المنطقة. أدوم وبصرة اسمان يحملانِ معاني تتعلّق باللون الأحمر وبعصير الكرم[٦]. والتعبير **חֲמוּץ בְּגָדִים מִבָּצְרָה**، "ثيابٍ قرمزيّة من بُصرة"، يُشير إلى ثياب العائدين الملطّخة من عصير العنب عندما كانوا يعودون إلى قراهم في يهوذا.

الجواب الثاني: **זֶה הָדוּר בִּלְבוּשׁוֹ**، "الذي يتباهى بلباسه". وكأنّ العبارة تشير إلى الجندي الذي يتباهى بزيّه المُرصّع، بشارةِ رتبته، وأوسمة الفخر. والفعل **צֹעֶה**، "يختال" يصف الوقفة المميّزة التي يتطلّبها ثقل درع الجندي. هو جندي لا يزال يكتسي ثياب المعركة الملطّخة بعلاماتِ المعركة.

الجواب الثالث **אֲנִי**، "أنا"، يعلن الجندي بقوّة أن الحالة في قبضة يده ويتكلّم لتهدئة الشعب. **מְדַבֶּר**، "البرّ" يعني أنّ نفوذه يُستمدّ من الأمبراطوريّة الحاكمة. التعبير **רַב לְהוֹשִׁיעַ**، "وافرٌ ليخلّص" تعني أنّ قوّة الجندي كافية للمعركة. الكلمتان "البر والخلاص" تظهران بإسهاب في الرؤى التي تتكلّم عن مُناصرة الربّ للحكّام الفُرس لإنجاز هدفه في أورشليم[٧]. إذًا الربّ يستعمل القوّة الفارسيّة العسكريّة ليُنجز وعده بالحفاظ على أمان أورشليم. وما الأمبراطور الفارسي إلاّ خادم الربّ المؤتمن على تجديد أورشليم والحفاظ على السلام فيها.

الآية الثانية: **"ما بالُ لِباسكَ أحمر، وثيابُكَ كدائسِ المعصرة"؟**

ما يلفت نظر الكاتب ثياب الجندي التي تظهر **כְּדֹרֵךְ בְּגַת**[٨]، "كدائس المعصرة". كانت المعصرة عبارة عن حفرةٍ قليلة العمق فيها ثقب إلى جانبها يتّصل بوعاءٍ كبير. وعندما يدوس العاملِ العنب في المعصرة، يجري

(٤) J. R. BARLET, "The Moabites and Edomites", in D. J. WISEMAN (ed.), *People of Old Testament Times* (London 1973) 229-38.

(٥) حسبما جاء في الكتاب المقدّس، بصرة كانت عاصمة أدوم ومركزها الإداري آنذاك. وما عدا ذلك فذكرها مرتبط بالويلات ضدّ الشعوب (أش ٣٤: ٦؛ ٦٣: ١؛ إر ٤٩: ١٣، ٢٢؛ عا ١: ١٢).

(٦) أدوم هي المساحة التي تتميّز بالتربة الحمراء. راجع אדום, *HALOT*, 128 L. KOEHLER - W. BAUMGARTNER.

(٧) قورش (أش ٤٥: ٨-٢٤؛ ٤٦: ١٣)، داريوس (أش ٤٩: ٦-٨؛ ٥١: ٥-٨)، أرتحششتا (أش ٥٩: ١٦؛ ٦٠: ١٧-١٨؛ ٦١: ١٠-١١).

(٨) גַּת (Gat) من الممكن أن تعني أيضاً "جث" إحدى المدن الفَلِسطينيّة المجاورة.

عصير العنب عبر الثقب إلى الوعاء. وبالطبع كان العصير يكسو ثياب العامل بالبُقع. إستعمل الكاتب هذه الاستعارة ليعبّر عن حقيقةٍ إسكاتولوجيّة نهيويّة وهي انتصار الله على الأمم[٩]، مُستبقًا ما سيعبّر عنه في ما بعد سفر الرؤيا في العهد الجديد مبيّنًا الحُكم الأبرز لكلّ البشر.

استعمل إرميا هذه الصورة في أقواله النبويّة على الأمم: "الربّ من العلاء يزأر ومن مسكن قدسه يُطلق صوته. يزأر زئيرًا على مرعاه وكدائسي العنب يجهر بهتافٍ على جميع سكّان الأرض" (إر ٢٥: ٣٠). إستعملها أيضًا يوئيل النبيّ في نبوءته بأنّ الأمم ستعاني من دينونتها وهزيمتها الأخيرة لأنّها شنّت الحرب على الربّ: "أعملوا المنجل فإنّ الحصاد قد بلغ وهلمّوا دوسوا فإنّ المعصرة ملأى والدِّنانَ فائضة لأنّ شرّهم قد كثُر" (يؤ ٤: ١٣).

الآية الثالثة: **"دُستُ المعصرة وحدي ومن الشعوب لم يكن معي أحد. وطئتُهم بسخطي ودُستهم بغضبي فانتضح عصيرهم على ثيابي فلطّختُ ملبوسي كلّه".**

يُجيب الجندي بنزاهةٍ مستعملاً استعارة المعصرة ليُدلي ببيانه. لقد داس حقًّا المعصرة، أي أنّه خاض معركةً حاسمة، ولكنّه يُضيف **לְבַדִּי**، "وحدي"، أي أنّه لم يكن بحاجة إلى التصرّف كالإقطاعيّين ولا إلى طلب تأمين المساعدة العسكريّة. فقد وطئ وداس على التمرّد بالسخط والغضب اللذين يشكّلان الانفعالات الاعتياديّة في المعركة. فدليل المعارك الدمويّة على ثيابه. إنّما صورة المعركة تبقى رزميّة لتعبّر عن المعنى الأعمق، أنّ الله وحده هو الذي خَلق (أش ٤٤: ٢٤) وهو الذي يُخلِّص (أش ٦٣: ٥).

الآية الرابعة: **"لأنّه كان في قلبي يوم انتقام وبَلَغَت سنةُ فدائي".**

יוֹם נָקָם، "يوم انتقامٍ" هو يوم الجزاء أو الدينونة حيث يجازي الربّ البشر على أعمالهم. وهو تعبيرٌ خاصّ بأشعيا الثاني والثالث ويرد مرّةً واحدة في سفر الأمثال (أم ٦: ٣٤). **וְשְׁנַת גְּאוּלַי**، "سنة فدائي" هي عبارة فريدة في العهد القديم وتوحي باستعادة النظام الذي كان موجودًا مِن قَبل. الانتقام والفداء كلمتان ملائمتان وتستعملان لإخماد الثورة. لا بل أكثر من ذلك، هناك لعبٌ على الكلام بين فعل "لطّخ" والاسم "فداء"، فكلاهُما يشتقّان من الجذر العبري نفسه **גאל**. إذًا لا يتعجّب القارئ من وجود كلمة خلاص في نشيدٍ دامٍ، لأنّ من لطّخ ثيابه هو نفسه الذي خلّص شعبه من أيدي الأمم.

الآيتان الخامسة والسادسة: **"وقد نظرتُ ولم يكن مَن ينصُر، ودَهِشتُ ولم يكن من يعضد، فأنجدتني ذراعي وغضبي هو أيّدني. ودُستُ الشعوب في سُخطي، وأسكرتهم في غضبي، وأسَلتُ في الأرضِ عصيرهم".**

هاتان الآيتان تعيدان القصة من جديد وتشدّدان على عمل المحارب، الذي يحوز وحده على النصر. كلمة **זְרֹעִי**، "ذراعي" تعني أنّ قواه هو وحده أتمّت الخلاص، أي أنّه نجح في توطيد النظام وإخماد الثورة. **אַפִּי**، "غضبي" يُشير إلى حافزه العاطفيّ الشخصيّ.

נִצְחָם في الآية السادسة تعني حرفيًّا "عصيرهم"، خاصّةً وأنّ إطار النصّ العامّ يُساعد على فهم الكلمة بهذا المعنى. لكن من الممكن أيضًا أن تحمل معنى "اعتبارهُم، مُقامهم". بمعنى آخر، إنتصر الربّ على الشعوب وداس "اعتبارهم" الذي كانوا يعتدّون به.

٥ - الأفكار اللاهوتيّة

١.٥ غضب الله وسنة الفداء

غضب الله هدفه تعليميّ. لم يكن

(٩) يستعل كاتب سفر الرؤيا هذه الصورة في ١٤: ١٩-٢٠: "وألقاه في معصرة سُخط الله العظيمة. وديست المعصرة خارج المدينة، فخرج من المعصرة دمٌ بلغ ارتفاعه لُجُم الخيل، مدى ألفٍ وستّ مئة غلوة". إنّه لمشهدٌ يهيّئ للقتال النهيوي في سفر الرؤيا حيث سينتصر المسيح على الأمم: "وهو يدوس معصرة خمر سُخط غضب الله القدير" (رؤ ١٩: ١٥).

فقط للحُكم والدينونة، بل للخلاص أيضًا. لذا يستعمل الكاتب مفردات "انتقام" و "فداء" معًا (أش ٦٣: ٤): فلا فداء دون دَوسٍ وموت. "يوم الانتقام" قد أتى لأنّ الربّ عاقب الأشرار[١٠]، وانتصاره الدامي لم يكن نتيجة انفعالٍ يصعب التحكّم به، بل يدخل في مخطّط الله. فالعمل الخلاصيّ أُنجز في أش ٥٣، أمّا ابتداءً من أش ٥٦: ١ وما يلي على الشعب أن ينتظر الخلاص الموعود به. الفصول التالية تُشير إلى الحاجة إلى إنقاذٍ من بيئة الخطيئة والضعف (أش ٥٧: ١؛ ٥٨: ١؛ ٥٩: ١٣). فعندما يأتي المسيح ليخلّص، أي عندما تأتي "سنة فدائي" يُنتزعُ الغضب على الأخصام[١١].

٥. ٢ إستعارة المعصرة

تتميّز هذه الاستعارة باستعمال الكاتب لكلمتين تتعلّقان باللباس בֶּגֶד، "ثوب" ولְבוּשׁ، "لباس" وحيث تتردّد كُلٌّ منهما ثلاث مرّات[١٢]. هاتان الكلمتان مرادفتان ولكنّهما تختلفان في المعنى بعض الشيء. בֶּגֶד، "ثوب" يُشير غالب الأحيان في الكتاب المقدّس إلى الخيانة والخداع. ويُستعمل هذا الاسم عادةً في الخيانة الزوجيّة التي تُشير إلى علاقة الشعب بالربّ. أمّا לְבוּשׁ، "لباس" فيُشير إلى الكسوة بشكلٍ عامّ، أو إلى اللباس الذي يرمز إلى الرتبة، المنزلة، أو الصفة.

ترمز إستعارة المعصرة إلى الحُكم والانتصار الإلهييّن. والذين داسهم الربّ في المعصرة هم الشعوب المعادية لشعب الله والممثّلة في هذا النشيد بأدوم.

٥. ٣ نشيد أش ٦٣: ١- ٦ والعهد الجديد

يُطبّق كاتب سفر الرؤيا نشيد أش ٦٣: ١-٦ على المسيح يسوع. في الحقيقة، يسوع هو الشخص المنتصر الذي يقدّمه لنا سفر الرؤيا: "ويلبَسُ رداءً مُخضّبًا بالدمّ، واسمه كلمة الله... ومن فمه يخرج سيفٌ مرهفٌ ليضرب به الأمم. وإنّه سيرعاها بعصًا من حديد، ويدوس في معصرة خمرة سورة غضب الله القدير" (رؤ ١٩: ١٣-١٥). المسيح الذي يصوّره لنا كاتب سفر الرؤيا هو المسيح الذي أتى من سلالة داود لأنّ الأوصاف التي يعطيها الكاتب للمسيح تُلمّح إلى المزمور ٢، وبالأكثر يعطيه الكاتب صفة "كلمة الله".

إذًا يمكننا قراءة أش ٦٣: ١- ٦ وكأنّنا نضع نصب أعيننا المسيح المصلوب والمُمجَّد. هو المسيح الذي جابه الطبيعة البشريّة وقوى الشرّ؛ هو الذي شعر بالوحدة حتّى أسى الموت؛ هو الذي خرج من المعركة مخضّبًا بالدماء، لكن ليس بدم الآخرين، بل بدمه، لأنّ انتصاره على الشرّير كان نتيجة قبوله أن يكون الضحيّة دون ارتكاب الإثم. فاستحقّ بذلك أن يكون الديّان الأسمى لكلّ البشر.

خاتمة

في هذا الحديث بين الربّ وكاتب النصّ، يسمع القارئ كلام الربّ مرّتين وهو يُنجز شيئًا، ليس كما يتخيّله الكاتب نفسه، بل كما يريده الربّ: كلمة الربّ لا تعود فارغة (أش ٤٥: ٢٣؛ ٥٥: ١١).

يستعمل الكاتب في سياق النصّ أسلوب الحوار بينه وبين الربّ الذي يدافع عن نفسه، كما في كلّ مراجع الكتاب المقدّس التي تتكلّم عن دفاع الربّ، لأنّ غالبيتها تتعلّق بصلاحِ وعدلِ الله. كما ويستعمل استعارة

(١٠) راجع أش ٦١: ٢.

MOTYER, J. A., *The Prophecy of Isaiah*. An Introduction and Commentary (Downers Grove 1993) 511.(١١)

(١٢) בגד ولבוש (أش ٦٣: ١، ٢، ٣).

المعصرة التي تنتهي بانتصار الربّ على الشعوب.

إنّها لصورةٌ عن المسيح الآتي إلى العالم في مجيئه الثاني ليهزم أعداء إسرائيل (أش ٥٢: ٧-١٢؛ زك ١٤: ٣؛ رؤ ١٤: ١٧-٢٠؛ ١٦: ١٦؛ ١٩: ١٣، ١٥-٢١). الأعداء هم غير المؤمنين العائشين في محنةٍ كبيرة والذين يرفضون تقدمة المسيح لذاته تكفيرًا عن الخطايا.

المراجع

BARLET J. R., "The Moabites and Edomites", in D. J. WISEMAN (ed.), *People of Old Testament Times* (London 1973) 229-38.

BONNARD P.-E., *Le second Isaïe. Son disciple et leurs éditeurs, Isaïe 40-46:* EtB (Paris 1972).

BROCKHAMPTON REFERENCE, *Dictionary of the Bible* (London 1995).

BROWN R. E. - FITZMYER J. A. - MURPHY R. E. (eds.), *The New Jerome Biblical Commentary* (London 2000).

FREEDMAN, D. N. (ed.), *The Anchor Bible Dictionary* (New York - London - Toronto - Sydney - Auckland 1992) [CD-Rom].

HARRIS, R. L. (ed.), *Theological Wordbook of the Old Testament* (Chicago 1981) I-II.

KOEHLER, L. - BAUMGARTNER W., *The Hebrew and Aramaic Lexican of the Old Testament* (Leiden 1994-2000) [CD-Rom].

MOTYER, J. A., *The Prophecy of Isaiah*. An Introduction and Commentary (Downers Grove 1993).

SMITH, P. A., *Rhetoric & Redaction in Trito-Isaiah*, The Structure, Growth & Authorship of Isaiah 56-66 (VT.S 62; Leiden - New York - Köln 1995).

TUCKER, G. M. *The Book of Isaiah* (NIBC 6) [CD-Rom].

WALVOORD, J. F. - ZUCK, R. B., *The Bible Knowledge Commentary*. An Exposition of the Scriptures by Dallas Seminary Faculty (USA 1985).

WATTS, J. D. W., *Isaiah 34-66* (WBC 25; Dallas, Texas) [CD-Rom].